المبحث الثالث

ردود شيخ الإسلام رحمه الله التفصيليّة على بعض الشبهات التي أثارها أصحاب دليل التركيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الردّ على تسمية أصحاب دليل التركيب تعطيلَ الصفات توحيداً.

المطلب الثاني: نقض استدلال أصحاب دليل التركيب بما في القرآن من تسمية الله نفسه «أحداً»، و«صمداً» على نفي صفات الله تعالى.

المبحث الثالث

ردود شيخ الإسلام التفصيليّة

على بعض الشبهات التي أثارها أصحاب دليل التركيب

* مرّ معنا[1] أثناء شرح دليل التركيب عن المتفلسفة والمعتزلة، أنّ عمدة كلتا الطائفتين في نفي الصفات عن الله تعالى: هو وحدة الواجب ـ عند المتفلسفة ـ أو القديم ـ عند المعتزلة.

* وتقدّم أيضاً أنّهم يستدلّون باسم الله: «الواحد»، و«الأحد»، على تعطيل الباري عن صفاته، ويُسمّون ذلك بساطة الواجب، أو بساطة القديم[2]..

* وقد يستدلّون أيضاً باسم الله تعالى: «الصمد» على نفي الصفات عن الله تعالى[3].

* فبساطة الواجب، أو القديم، تعني عند المتفلسفة عدم تركّبه، وعند المعتزلة عدم تعدّده..

ومرادهم من كلتا العبارتين تعطيل الله عن صفاته..

فهذا هو توحيد الله تعالى عندهم..

وهذا هو المطلوب منهم ـ بزعمهم ـ حتى يكونوا موحِّدين..

---

(١) تقدّم ذلك ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) تقدّم ذلك ص ١١٤، ١١٥. وانظر أيضاً: أساس التقديس في علم الكلام للرازي ص ١٧ - ١٩.

(٣) انظر: أساس التقديس في علم الكلام للرازي ص ١٩.

* لذا نرى أنّهم قد سمّوا أنفسهم أهلَ التوحيد..

وسمّوا مثبتي الصفات أهلَ التجسيم والتشبيه والتمثيل.

وزعموا أنّ التوحيد هو نفي صفات الله تعالى..

* **وعمدتهم في ذلك كلّه:** ـ ما سمَّوْه توحيداً؛ وهو يعني عندهم نفي الصفات..

ـ أضف إلى ذلك استدلالهم بما في القرآن الكريم؛ من تسمية الله تعالى نفسه: «واحداً»، و«أحداً»، و«صمداً»: على نفي الصفات.

* وهذه شبهات مرّت فيما مضى.

ولابُدّ من الردّ عليها..

* وهذا سيحصل إن شاء الله في المطلبين التاليَيْن.

المطلب الأول

الردّ على تسمية أصحاب دليل التركيب

تعطيلَ الصفات

توحيداً

* اسم «التوحيد»: اسم معظّم جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب..

فهو المذكور في الكتاب والسنّة، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

* إلا أنّ هذا الاسم دخله الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلّمين وغيرهم في معناه.

فكلّ طائفة تعني به ما لا يعنيه غيرها..

وهؤلاء المبتدعة من المتكلمين والمتفلسفة، وأشباههم فسّروا هذا الاسم العظيم بما ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ.

فما سمّوْه توحيداً، وقصدوا به نفي صفات الله تعالى: إنّما هو شيء ابتدعوه من أنفسهم، لم يبعث الله به رسله، ولم يُنزل به كتبه.

والذي يهمّنا من هؤلاء المبتدعة هم: أصحاب دليل التركيب؛ المعتزلة، والمتفلسفة؛ فإنّهم ـ كما تقدّم [1] ـ فسّروا هذا الاسم تفسيراً يُخالف قول الله وقول رسول ﷺ.

*** فالمعتزلة مثلا:**

---

(١) تقدم ذلك ص ١٢٢، ١٣٤، ١٣٥.

١ ـ زعموا أنّ إثبات الصفات يُنافي التوحيد.

٢ ـ وفسّروا التوحيد: بنفي جميع الصفات عن الله تعالى، وزعموا أنّ معنى كون الربّ واحداً: أنْ لا يكون له صفة قديمة؛ لئلا يكون في الوجود قديمان[١].

وقد مرّ معنا أنّهم يجعلون القِدَم أخصّ وصفٍ للربّ جلّ وعلا[٢].

٣ ـ وقالوا: إنّ القديم واحدٌ، ليس معه في القِدَم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره، ولشاركه هذا الغير في قِدمه؛ فيكون بذلك مُشاركاً له في وحدانيّته بزعمهم.

** فلا يكون الربّ تعالى واحداً عندهم، حتى تُنفى عنه جميع الصفات[٣].

* فمرجع التوحيد عندهم: إلى وحدة القديم، لا غير.

* وإثبات الصفات يقتضي تعدّد القدماء بزعمهم[٤].

٤ ـ والتوحيد أحد أصولهم الخمسة؛ كما تقدّم[٥]؛ فهو أصل الإلحاد والتعطيل، المسمّى عندهم بأصل التوحيد.

---

(١) تقدم ذلك ص ١٣٨. وانظر: كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٢٢٧.

(٢) تقدم ذلك ص١٣٨.

(٣) انظر كتب ابن تيمية التالية: نقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/ ٤٦٥. والفتاوى المصرية ٥/ ٨٥، ٦/ ٥٥٩، ٦٤٣، ومجموع الفتاوى ٧/ ٤٩٣، ٨/ ٢٥٨، ١١/ ٤٨٤، ٤٨٨، ١٤/ ١٨١. ودرء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٤٩، ٨/ ١٥٦، ٩/ ٣٧٧. والاستقامة ٢/ ٢١٦. والرسالة التدمرية ص ١١٧. والفتاوى العراقية ص ٢٦٨. ومنهاج السنة النبوية ٢/ ١٤٣. والفرقان بين الحق والباطل ص ٦٥.

(٤) تقدم ذلك ص ١٣٨.

(٥) تقدم ذلك ص ١٤١.

٥ ـ والمعتزلة لا يكتفون بتسمية تعطيلهم الصفات توحيداً، بل يزعمون أنّ من أثبت الصفات، فهو مشبّهٌ مُجسّمٌ يقول بتعدّد القدماء، ولا يجعل القديم واحداً فقط[١].

* فمن قال: إنّ لله علماً، وقدرةً، وحياة، . . . . إلخ، وأنّه يُرى في الآخرة، وأنّ القرآن من كلامه، فهو عند المعتزلة: مشبّة مجسمّ، وليس موحّداً[٢].

٦ ـ والمعتزلة يزعمون أنّهم أهل التوحيد، وأنّهم الموحِّدون[٣].

وابن التومرت[٤] من الشواهد على ذلك:

فإنّه لقّب أصحابه بالموحِّدين؛ اتّباعاً لأئمتّه من المتكلّمين، الذين ابتدعوا توحيداً ما أنزل الله به من سلطان، وألحدوا في التوحيد الذي

---

(١) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٦٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٥٠، ١١/ ٤٨٨. ومنهاج السنة النبوية له ٣/ ٢٩٥.

(٣) تقدّم بيان ذلك ص ١٤١، ١٤٢.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن تومرت البربريّ. كان على مذهب المعتزلة في الصفات. انغمس في علم الكلام، وخاض في مزالّ الأقدام، وألّف لأتباعه عقيدة لقّبها بالمرشدة، بناها على نفي الصفات عن ربّ العالمين؛ فلم يُثبت لله صفة واحدة، وحمل أتباعه عليها وسمّاهم موحّدين، ونبز مثبتة الصفات بالتجسيم والتشبيه، وكفّرهم وأباح دماءهم لجهلهم العَرَض والجوهر؛ زاعماً أنّ من لم يعرف ذلك، لم يعرف المخلوق من الخالق، ادّعى أنّه الإمام المهديّ المعصوم، وأحلّ دم ومال وعرض من لم يُهاجر إليه ويُقاتل معه.
(انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٤٥ ـ ٥٥. وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٥٣٩ ـ ٥٥٢. وطبقات الشافعيّة للسبكي ٦/ ١٠٩ ـ ١١٧. وانظر من كتب ابن تيمية: نقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/ ٤٦٥ ـ ٤٧٥، ٤٧٨ ـ ٤٨٧. ومجموع الفتاوى ١١/ ٤٧٥ـ ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩١، ٣٥/ ١٤٢. ومعارج الوصول إلى أنّ أصول الدين وفروعه قد بيّنها الرسول ﷺ ص ٨. ومنهاج السنة النبوية ٣/ ٢٩٧. والفتاوى المصرية ٦/ ٦٢٢، ٦٢٣. ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٨٥، ٣/ ٤٣٨).

أنزل الله به القرآن..

* ولا ريب أنّ هذا الذي يُسمّيه المعتزلة توحيداً: هو عند التحقيق تعطيلٌ مستلزمٌ للتمثيل والإشتراك[1].

وعبارات المعتزلة موهمة، ملبسة على الجاهل؛ إذ قد يظنّ الظانّ من الجهّال أنّ أهل الإثبات للأسماء والصفات قد أثبتوا إلهين قديمين بإثباتهم للصفات.

والواقع أنّهم إنّما أثبتوا إلهاً واحداً، لا إله إلا هو، سبحانه وتعالى عمّا يقول المعطّلون النافون لصفاته..

وهذا الإله العظيم تبارك وتقدّس «موصوفٌ بصفاته التي يستحقّها. وهو سبحانه قديم بصفاته القديمة. والصفة القديمة لا يجب أن تكون مثل الموصوف القديم، ولا تكون إلهاً؛ كما أنّ صفة الإنسان المحدَث لا يجب أن تكون مثل الموصوف المحدَث، ولا تكون إنساناً. وكذلك صفة النبيّ لا يجب أن تكون نبيّاً»[2].

فلا يُلتفت إلى تلبيسات المبتدعين الذين فرّوا «من تعدّد صفات الواحد الحقّ تبارك وتعالى وتعدّد أسمائه وكلامه. مع أنّ ذلك لا محذور فيه. بل هو الحقّ الذي لا يمكن جحده»[3].

وهذه التلبيسات والتمويهات تفطّن لها أئمة السلف رحمهم الله، ونبّهوا عليها..

ومن هؤلاء الأئمة: الإمام المبجلّ أحمد بن حنبل رضي الله عنه؛

---

(١) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٢. ودرء تعارض العقل والنقل له ٧/ ١٢٧.

(٢) كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١٢٧.

فإنّه قال في رسالته: «الردّ على الجهميّة والزنادقة»: «فقالت الجهميّة لمّا وصفنا الله بهذه الصفات[1]: إن زعمتهم أنّ الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أنّ الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته؟. قلنا: لا نقول: إنّ الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره؛ لا متى قَدرَ، ولا كيف قَدرَ. فقالوا: لا تكونوا موحّدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إنّ الله لم يزل بصفاته كلّها، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟! وضربنا لهم في ذلك مثلاً؛ فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة! أليس لها جذع وكرب[2]، وليف، وسعف، وخوص[3]، وجُمّار[4]، واسمها اسم شيء واحد، وسمّيت نخلة بجميع صفاتها. فكذلك الله ـ وله المثل الأعلى ـ بجميع صفاته إله واحدٌ. لا نقول: إنّه قد كان في وقتٍ من الأوقات ولا يقدر، حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز. ولا نقول: قد كان في وقتٍ من الأوقات ولا يعلم، حتى خلق له علماً فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل. ولكن نقول: لم يزل الله عالماً قادراً لا متى ولا كيف. وقد سمّى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزوميّ[5]، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾[6]. وقد كان هذا الذي سمّاه الله «وحيداً» له عينان، وأذنان، ولسان، وشفتان، ويدان،

---

(١) العلم، والقدرة، والكلام، . . إلخ.

(٢) الكَرْب: أصول سعف النخلة. (أساس البلاغة للزمخشري ص ٥٣٩).

(٣) الخَوْص: ورق النخلة. (أساس البلاغة للزمخشري ص ١٧٧).

(٤) الجُمّار: شحم النخلة. (أساس البلاغة للزمخشري ص ٩٩).

(٥) والد خالد بن الوليد رضي الله عنه. . زعيم من زعماء قريش، وواحد من حملة لواء الكيد والتعذيب ضدّ أتباع الدعوة المحمدّية. كان يُعرف بالجاهليّة: بالوحيد (راجع السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٩٨ ـ ٥٠٦).

(٦) سورة المدثر، الآية ١١.

ورجلان، وجوارح كثيرة. فقد سمّاه الله «وحيداً» بجميع صفاته. فكذلك الله ـ وله المثل الأعلى ـ هو بجميع صفاته إلهٌ واحدٌ»[1].

* والمتفلسفة أيضا:

١ ـ يعنون بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة، وزيادة؛ حتى إنّهم ليقولون: ليس له ـ جلّ وتعالى عن قولهم ـ إلا صفة سلبيّة، أو إضافيّة، أو مُركّبة منهما[2].

٢ ـ وقد ادّعوا أنّ الوجود الواجب، لا يكون إلا بسلب الصفات؛ لأنّ إثباتها بزعمهم يقتضي التركيب، والواجب لا يكون مُركّباً[3].

٣ ـ وهم يُسمّون نفي الصفات: توحيد الواجب..

ويشترطون في الواجب أن يكون واحداً.

٤ ـ ويُفسّرون الواحد، والتوحيد، بما ليس هو معنى الواحد، والتوحيد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

فيقولون: الواحد: ما لا صفة له، ولا قَدْر، ولا يقوم به فعل[4].

ومن عباراتهم في ذلك: واجب الوجود واحدٌ من كلّ وجه، ليس

---

(١) الردّ على الجهميّة والزنادقة للإمام أحمد ص ١٣٣، ١٣٤. وانظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) تقدّم بيان ذلك ص ١٢٣ من هذا الجزء. وانظر أيضاً: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٥٠، ٦/ ٥١. ومنهاج السنة النبوية له ٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧.

(٣) تقدم بيان ذلك ص ١٢٣ـ١٢٤. وانظر أيضاً كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٤٣.

(٤) تقدم بيان ذلك ص ١١٥ ـ ١١٦ من هذا الجزء. وانظر أيضاً من كتب ابن تيمية: كتاب الصفدية ٢/ ٢٢٧، ٢٢٩ ـ ٢٣٢. والقاعدة المراكشية ص ٥١. ومنهاج السنة النبوية ٢/ ١٤٣. ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ٥٦. والفتاوى المصرية ٦/ ٥٤٦ ـ ٥٥٠ ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ١/ ٤٦٤، ٤٦٥.

فيه أجزاء حدّ، ولا أجزاء كمّ[1].

بمعنى: ليس فيه كثرة حدّ؛ أي ليس محدوداً مُركّباً من الجنس والفصل[2]، وليس فيه كثرة كمّ؛ أي ليس جسماً مُركّباً من الجواهر المنفردة[3].

ومقصودهم من هذه العبارات كما أسلفُت: نفي أن يكون لله تعالى صفة، أو قَدْر[4].

فتوحيد واجب الوجود عندهم ـ بما فيهم ابن سينا ـ: أن لا يكون موصوفاً بصفات، فتكون فيه كثرة[5]..

فمرجع التوحيد عندهم إذاً: إلى وحدة الواجب لذاته لا غير.

وقصدهم من توحيده: أن لا يُثبتوا له صفةً أبداً؛ كالعلم، والقدرة، وغيرهما؛ لئلا يكون في الوجود واجبان.

* وعبارات المتفلسفة في ذلك موهمة، ملبسة على الجُهّال..

فإنّ الجاهل إذا سمع مقالتهم: من أثبت الصفات، فقد أثبت واجبين، فأكثر، وتعدّد الواجب ممتنع؛ توهّم «أنّ المثبتين أثبتوا إلهين

---

(١) تقدّمت النقول عنهم في ذلك ص١٢٠.

(٢) تقدّم توضيح هذا النوع من أنواع التركيب عند المتفلسفة، والردّ عليه ص ١٧٢.

(٣) تقدّم توضيح هذا النوع من أنواع التركيب عند المتفلسفة، والردّ عليه ص ١٨٩، ١٩٠.

(٤) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٦٥.

(٥) انظر: من كتب ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٥٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٧/ ١٢٢، ٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١ ـ ٢٥٨، ٩/ ٢٥٦، ٢٦٨، ١٠/ ٦، ١٠، ٩٧، ١٩٦. وكتاب الصفدية ١/ ٨٦ ـ ١٠٤، ٢٤٣، ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢. ومنهاج السنة النبوية ١/ ٣٥٣، ٢/ ١٤٣. والقاعدة المراكشية ص ٥١. وشرح العقيدة الأصفهانية ص ١٨ ـ ٢٣. والفتاوى المصرية ٦/ ٥٤٦ ـ ٥٥٠.

واجبين بذاتهما. وإنّما أثبتوا إلهاً واحداً واجباً بنفسه، له صفات لازمة له، واجبة بوجوبه، لا يقبل العدم. والتعدّد الممتنع في الواجب إنّما هو تعدّد الإله؛ كما أنّ التعدّد الممتنع في القديم إنّما هو تعدّد الإله القائم بنفسه؛ لأنّ ذلك هو تعدّده»[1].

*** توحيد المعتزلة، والمتفلسفة الذي هو في الواقع تعطيل الباري جلّ وعلا عن الاتّصاف بصفاته العُلا: مخالف للغة، وللكتاب، والسنة، ولما بعث الله به رسله، ولأقوال سلف الأمة، ولتوحيد المسلمين أجمعين..**

ليس توحيد المبتدعة توحيدَ أهل الحقّ، الذي ذكره الله وحضّ عليه، وذكره رسوله ﷺ وأمر به..

وإنّما التوحيد الذي يدّعي المبتدعة الاختصاص به، هو توحيد أهل الباطل؛ كما قيل: «توحيد أهل الباطل هو: الخوض في الجواهر والأعراض»[2].

والمبتدعة هؤلاء، متكلمةً كانوا أو متفلسفة: غيّروا لفظ التوحيد المتضمّن إثبات الصفات لله تعالى، فجعلوا نفي الصفات من التوحيد، وألحدوا في أسماء الله جلّ وعلا وصفاته..

وقد ظنّوا أنّ ما نَفَوْه عن الله جلّ وعلا تنزيه له وتعظيم وكمال.

وهذا من جهلهم المُركّب، وعدم تصوّرهم أنّ إثبات ما نَفَوْه هو الكمال الذي يكون مُثبته معظّماً للربّ تعالى، ومُقدّساً له..

---

(١) كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٢٢٨.

(٢) انظر كتب ابن تيمية التالية: تفسير سورة الإخلاص ص ١٥٩. والفتاوى المصرية ٦/ ٥٦٢. ودرء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٨٥. ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٧.

والواقع أنّهم غلطوا في معرفة حقيقة التوحيد، وتاهوا عن معرفة الطرق التي بيّنها القرآن؛ فحسبوا أنّ التوحيد مجرّد اعتقاد أنّ العالم له صانع، وضمّوا إلى ذلك نفي الصفات، وجعلوه داخلاً في مسمّى التوحيد.

وهم في صنيعهم هذا مخالفون للغة، وللشرع، وللعقل[1]..

وأقوالهم باطلة، مخالفة لصريح المعقول، وصحيح المنقول..

أضف إلى ذلك ما تشتمل عليه من عِظم الفرية على ربّ العالمين، وعِظَم الجهل بما هو عليه إله الأولين والآخرين، من صفات الكمال، ونعوت الجلال..

أمّا تكذيب رسل الله، والإلحاد في أسماء وآيات الله، فحدِّث عن ذلك ولا حرج..

**** أولاً: مخالفة من زعم أنّ التوحيد نفيُ الصفات للغة:**

اللفظ المشهور في اللغة، الذي يتداوله الخاصّ والعامّ: يجب أن يكون مفهوماً، يتصوّره المُخاطب به..

ولا يجوز أن يكون هذا اللفظ موضوعاً لمعنى دقيق، لا يمكن لكلّ النّاس فهمه، أو تصوّره..

ولفظ: «التوحيد»، و«الواحد» لفظ مشهور، يتداوله جميع النّاس خاصتّهم وعامتّهم، وهم يفهمونه، ويتصوّرون معناه بمجرّد التخاطب به..

بَيْدَ أنّ المبتدعة حصروا معنى هذا اللفظ في نطاق ضيّق، وأبعدوه عن

(١) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٧٨.

معناه الحقيقيّ، وجعلوه من الألفاظ التي لا يفهمها إلا فئة قليلة من النّاس..

فزعموا أنّ الواحد: هو الذي لا يُشار إليه، ولا يتميّز منه شيء دون شيء، ولا يتّصف بصفة[1].

ولا ريب أنّهم بصنيعهم هذا قد ألحدوا في هذا اللفظ..

فهذا المعنى الذي ذكروه للواحد: هو أقرب لممتنع الوجود منه إلى الموجود.

إذ لا يُتصوّر موجود مجرّد عن الصفات[2].

والمبتدعة بتفسيرهم للواحد، والتوحيد بهذا، قد خالفوا اللغة التي يُرجع إليها عند الاشتراك اللفظي، فتفصل بين المتخاصمين، وتُنبّه على المعنى الحقّ للفظ.

وبرجوعنا إلى اللغة، نجد أنّ:

* أهل اللغة مطبقون على أنّ معنى «الواحد» عندهم: ليس هو المعنى الذي ذكره المبتدعة؛ فلا يُعرف في اللغة إطلاق اسم «واحد» إلا على ذي صفة[3]..

بل «المنقول بالتواتر عن العرب: تسمية الموصوف بالصفات واحداً، وأحداً حيث أطلقوا ذلك، ووحيداً»[4].

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٧/١١٨.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٢٦٦، ٢٦٧. واقتضاء الصراط المستقيم له ٢/٨٤٨.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١١٣.

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/١١٣.

والعرب لا يعرفون الواحد في الأعيان، «إلا ما كان قديماً بنفسه، متصفاً بالصفات، مبايناً لغيره، مُشاراً إليه. وما لم يكن مُشاراً إليه أصلاً، ولا مُبايناً لغيره، ولا مُداخلاً له. فالعرب لا تُسمّيه واحداً، ولا أحداً، بل ولا تعرفه»[1].

* وهذا المعنى الذي ذكره المبتدعة للتوحيد، والواحد أيضاً: ليس معروفاً في لغة أحدٍ من الأمم[2].

و «جميع الأمم تُسمّي ما قام به الصفات واحداً، بل يُسمّونه وحيداً. وقد يُسمّونه في غير الإثبات أحداً؛ كقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[3]، وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْداً﴾[4]، وأمثال ذلك»[5].

* ومن «المعلوم المتواتر في اللغة، الشائع بين الخاصّ والعامّ أنّهم يقولون: درهم واحد، ودينار واحد، ورجل واحد، وامرأة واحدة، وشجرة واحدة، وقرية واحدة، وثوب واحد. وشهرة هذا عند أهل اللغة شهرة سائر ألفاظ العدد؛ فيقولون: رجل واحد، ورجلان اثنان، وثلاثة رجال، وأربعة رجال. وهذا من أظهر اللغة وأشهرها وأعرفها»[6].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١١٧.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية ٣/ ١٨٨. ودرء تعارض العقل والنقل ٧/ ١١٥.

(٣) جزء من الآية ٦، من سورة التوبة.

(٤) الآية ١١ من سورة المدثر.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/ ١٨٨. وانظر: درء تعارض العقل والنقل له ١/ ١١٣، ٦/ ٦.

(٦) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٩٣. وانظر: درء تعارض العقل والنقل له ٧/ ١١٦.

وهذا الذي يُطلق عليه اسم واحد: له صفات متعدّدة..

فالشجرة الواحدة مثلاً: لها جذور، وجذع، وساق، وأغصان، وأوراق. وفيها ثمار،.. إلخ. وكلّها يُطلق عليها اسم واحد[1].

وكذا الحال بالنسبة: للرجل الواحد، والدرهم الواحد، والثوب الواحد،... إلخ؛ كلّها أجسام، ويُطلق عليها اسم: واحد.

«فكيف يجوز أن يُقال: إنّ الوحدة لا يُوصف بها شيء من الأجسام. وعامّة ما يُوصف بالوحدة في لغة العرب إنّما هو جسم من الأجسام»[2].

**** ثانياً: مخالفةُ مَنْ زَعَمَ أنّ التوحيدَ نفيُ الصفاتِ للشرع:**

ينبغي أن يُعلم أولاً أنّه لا يُوجد في الشرع؛ لا في كلام الله تعالى، ولا في كلام رسوله ﷺ، بل ولا في كلام أحدٍ من سلف هذه الأمة رحمهم الله إطلاق اسم الواحد على ما لا صفة له؛ فإنّ ما لا صفة له، لا وجود له في الوجود[3].

والواقع أنّ لفظ «التوحيد»، و«الأحد»، و«الواحد» الموجود في كلام الله تعالى، وفي كلام رسوله ﷺ، وفي كلام سلف الأمة رحمهم الله يدلّ على نقيض قول المبتدعة، ويشهد لضدّ استدلالهم بهذه الألفاظ على نفي الصفات؛ إذ هذه الألفاظ: «التوحيد»، «الأحد»، «الواحد» تدلّ

---

(١) ذكر الإمام أحمد قريباً من هذا المثال للنخلة، فليراجع ص ٢٧٩.

(٢) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٩٣. وانظر درء تعارض العقل والنقل له ٧/ ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/ ١٦٣. ومجموع الفتاوى له ٤/ ١٥٢. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٤.

على أنّ المتّصف بالتوحيد، والمتسمّ بالواحد الأحد موصوف بصفات الكمال، ومنعوت بنعوت الجلال[1].

***** الواحد في القرآن الكريم يُطلق على ذي الصفات:**

القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، يشهد أنّ معنى التوحيد يعني إثبات الصفات، وأنّ اسم الواحد لا يُطلق إلا على قائم بنفسه، مُشار إليه، موصوف بصفات متعدّدة..

ـ والقرآن قد نزل بلغة العرب كما أسلفت، فلا يجوز حمل لفظ من ألفاظه على اصطلاحٍ حادثٍ ليس من لغة العرب..

هذا لو كان معنى اللفظ صحيحاً، فكيف إذا كان باطلاً؛ كالمعنى الذي استخدمه المبتدعة لاسم الواحد، ولفظ التوحيد[2].

ـ ومن قرأ القرآن الكريم علم أنّ الواحد في القرآن يُطلق على ذي الصفات، وأنّ التوحيد الذي في القرآن يتعارض مع تعطيل الصفات..

فقوله تعالى عن الوليد بن المغيرة[3]: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾[4] يشهد لذلك؛ إذ الوحيد مبالغة في الواحد؛ وإذا وُصف أحدٌ بأنّه وحيد، وهو ذو صفات، فوصفه بأنّه واحدٌ أولى أن يكون به ذا صفات[5]..

يقول الإمام أحمد: «وقد سمّى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾[6]. وقد كان هذا

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١٢٣ ـ ١٢٤. ومجموع الفتاوى له ٤/ ١٥٢. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٤.

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/ ٧.

(٣) مرّ آنفاً ص ٢٧٩.

(٤) سورة المدثر: الآية ١١.

(٥) انظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٨.

(٦) سورة المدثر، الآية ١١.

الرجل الذي سمّاه «وحيداً»، له عينان، وأذنان، ولسان، وشفتان، ويدان، ورجلان، وجوارح كثيرة. فقد سمَّاه الله «وحيداً» بجميع صفاته. فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إلهٌ واحد»[1].

ـ والقرآن الكريم مليء بالآيات التي أطلقت اسم الواحد على ذي الصفات، بل وعلى الأجسام أيضاً..

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2] من الشواهد على ذلك:

إذ من المعلوم «أنّ النفس الواحدة التي خلق منها هو آدم، وحوّاء خلقت من ضلع آدم القصيراء؛ من جسده خلقت، لم تخلق من روحه، حتى يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها. وإذا كانت حواء خُلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام، وقد سمَّاها الله نفساً واحدة: عُلِمَ أنّ الجسم قد يُوصف بالوحدة»[3].

ـ وكذا ثمّة آيات كثيرة جداً أطلق فيها اسم الواحد، والأحد على ما يُسمّيه المبتدعة جسماً، ومنقسماً[4].

فـ «كُلّ ما في القرآن من اسم «الواحد»، و«الأحد»؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾[5]، وقوله: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص ١٣٤. وانظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٨.

(٢) جزء من الآية ١، من سورة النساء.

(٣) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٨.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١١٥ ـ ١١٦. ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٥) سورة النساء، جزء من الآية ١١.

﴿اسْتَأْجِرْهُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ﴾[3]، وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْداً﴾[4]، وأمثال ذلك، يُناقض ما ذكروه؛ فإنّ هذه الأسماء أُطلقت على قائم بنفسه، مُشارٍ إليه، يتميّز منه شيءٌ عن شيءٍ. وهذا الذي يُسمّونه في اصطلاحهم «جسماً»[5].

ـ بقي أن نعلم: أنّ ما في القرآن الكريم من أسماء كثيرة لله تعالى؛ سمَّى الله تعالى بها نفسه، تدلّ بأسرها على ذات واحدة متصفة بالصفات؛ وكل اسم من أسماء الربّ تعالى يدلّ على الذات المسمّاة، وعلى الصفة التي تضمّنها الاسم..

فلكلّ اسمٍ معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر.

وكلّ هذه المعاني تدلّ على ذات واحدة؛ فالذات واحدة، والصفات متعدّدة[6].

والنصوص القرآنيّة الكثيرة التي جاء فيها وصف الله تعالى لنفسه بالصفات العُلا، لم يتنازع اثنان من العقلاء في أنّها دالّة على قول أهل الإثبات، وليست دالّة على نفي الصفات[7].

(١) سورة القصص، جزء من الآية ٢٦.

(٢) سورة الإخلاص، الآية ٤.

(٣) سورة التوبة، جزء من الآية ٦.

(٤) سورة المدثر، الآية ١١.

(٥) الرسالة الأكملية فيما يجب لله تعالى من صفات الكمال لابن تيمية ص ٤٦. وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١١٥، ١١٦ ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٦) انظر: معارج الوصول لابن تيمية ص ١٨. ومجموع الفتاوى له ٧/ ١٨٥. ومقدمة في أصول التفسير له ص ٤٩.

(٧) انظر درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٥٠ ـ ٥١.

وهذا يُرشد إلى بُطلان مزاعم المبتدعة في تعطيل الصفات، وتسمية ذلك توحيداً.

***** التوحيد الذي جاء به رسل الله عليهم السلام ليس فيه نفي الصفات:**

ـ من المعلوم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخبروا أنّ الله تعالى إلهٌ واحد، «وكفَّروا من أثبت إلهين اثنين، وأمروا بالتوحيد، ودعوا إليه، وحرّموا الشرك، وكفَّروا أهله، وأخبروا أنّ الله واحدٌ أحد. **وكان مُرادهم بذلك**: توحيده، وأنّه لا يجوز أن يُعبد إلا الله، وأنّه لا يستحق العبادة إلا هو»[1].

فالرسل عليهم السلام بُعثوا بتوحيد الله، والنهي عن الإشراك به؛ فتوحيدهم: هو الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه؛ فمن عَبَدَ الله وحده ولم يُشرك به شيئاً؛ فقد وحَّد الله، ومن عَبَدَ من دونه شيئاً من الأشياء؛ فهو مشرك، ليس بموحِدٍ مُخْلصٍ لله الدين[2].

والأنبياء عليهم السلام أثبتوا لله تعالى الصفات، وعلَّموا ذلك أممهم..

ولم يكن مُرادهم من الإخبار بأنّ الله واحدٌ نفيَ الصفات التي أثبتها لنفسه جلّ وعلا، بل كان مُرادهم بذلك: توحيده تعالى، وأنّه لا يجوز أن يُعبد إلا هو وحده[3].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية ٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) انظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ١/ ٤٧٨، ٤٨١.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥. ومجموع الفتاوى له ٢/ ٦٦. والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح له ٣/ ١٨٨.

فالتوحيد الذي بعث الله به رسله عليهم السلام ليس فيه شيء من نفي الصفات[1].

* أمّا المعنى الذي ذكره المبتدعة للتوحيد، والواحد: فليس هو لغة الأنبياء عليهم السلام التي خاطبوا بها الخلق..

ومعلومٌ أنّ «كلام الأنبياء عليهم السلام لا يجوز أن يحمل إلا على لغتهم التي عادتهم أن يُخاطبوا بها الناس، لا يجوز أن تحدث لغة غير لغتهم، ويُحمل كلامهم عليها»[2]..

فهم عليهم السلام موحِّدون لله، واصفون له بصفات الكمال..

ـ **«والتوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب:** هو توحيد الإلهيّة؛ وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له.

وهو متضمّن لشيئين:

أحدهما: القولي العلمي: وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يُماثله أحدٌ في شيء من صفاته.

فلا يُوصف بنقصٍ بحال. ولا يُماثله أحدٌ في شيءٍ من صفات الكمال؛ كما قال تعالى ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَمَدُ. لَمْ يَلِدْ. وَلَمْ يُوْلَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[3].

فالصمديّة تُثبتُ له الكمال، والأحديّة تنفي عنه مماثلة شيء له في ذلك»[4].

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/ ١٨٨.

(٣) سورة الإخلاص بأكملها.

(٤) كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٢٨. وانظر: نقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/ ٤٧٩. ومنهاج السنة النبوية له ٣/ ٢٩٢.

فهذا النوع الأوّل؛ التوحيد القولي العلمي: «وهو وصفه بما يُوجب أنّه في نفسه أحدٌ صمدٌ لا يتبعّض ويتفرّق فيكون شيئين، وهو واحد متّصف بصفات تختصّ به، ليس له فيها شبيه ولا كفؤ»[1].

فهو يتضمّن إذاً إثبات نعوت الكمال لله تعالى، بإثبات أسمائه الحسنى، وما تتضمّنه من صفاته..

وهو براءة من التعطيل؛ لأنّه يُوجب أن يُوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفته به رسله عليهم السلام؛ إذ تعطيل الباري جلّ وعلا عن أن يوصف بما وصف به نفسه، أو وصفته به رسله مستلزم لتعطيل الذات؛ كما قيل: المعطّل يعبد عدماً[2]..

هذا عن النوع الأول من أنواع التوحيد الذي بعث الله به رسله عليهم السلام.

* **أمّا النوع الثاني**، فهو: التوحيد في الإرادة والعمل: وهو يعني إخلاص العبدِ الدينَ لله تعالى؛ فلا يعبد إلا هو، ولا يدعو إلا إياه، ولا يتوكّل إلا عليه، ولايخاف إلا منه، ولايرجو سواه، ويجعل عمله كلّه لله.

قال تعالى: ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعۡبُدُواْ اللهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ الدِّيۡنَ**﴾[3]، وقال تقدّس اسمه: ﴿**قُلۡ يَآ أَيُّهَا الۡكَافِرُوۡنَ. لاَ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُوۡنَ. وَلاَ أَنۡتُمۡ عَابِدُوۡنَ مَآ أَعۡبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ. وَلا أَنۡتُمۡ عَابِدُوۡنَ مَآ أَعۡبُدُ. لَكُمۡ دِيۡنُكُمۡ وَلِيَ دِيۡنِ**﴾[4].

---

(١) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٧٩.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٠/ ٣٠٦، ٣١٣. وشرح حديث النزول له ص ٨. ومنهاج السنة النبوية له ٣/ ٢٩٢.

(٣) سورة البيّنة، جزء من الآية ٥.

(٤) سورة الكافرون بأكملها.

وهذا التوحيد يتضمّن أنّ الله خالق كلّ شيء، وربُّه ومليكه[1].

وهذا النوع براءة من الشرك[2].

ـ ورسولنا محمّد ﷺ بُعث بتوحيد الله تعالى، وعلَّمه أمّته، ولم يقل لهم كلمة واحدة تتضمّن نفي الصفات[3].

بل إنّ التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ يشتمل على إثبات ما وصف الله تعالى به نفسه من الصفات؛ إذ من تمام التوحيد: أن يُوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفته به رسله عليهم السلام[4]..

فالتوحيد الذي جاء به رسولنا ﷺ، هو هو التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم السلام، ونزلت به الكتب؛ فهو يتناول النوعين: توحيد القول والعلم، وتوحيد الإرادة والعمل..

ـ أمّا أقواله ﷺ التي أطلق فيها لفظ: «واحد»، و«أحد» على الجسم ذي الصفات، فهي أكثر من أن تُحصر..

وأذكر منها:

١ ـ قوله ﷺ: «**فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمسٌ وعشرون درجة**»[5].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢. وكتاب الصفدية له ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٢٩٢.

(٣) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٢٢٠. ودرء تعارض العقل والنقل له ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٨٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٥٢، ك التفسير، تفسير سورة الإسراء، باب قوله تعالى: ﴿**إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾.

فسمَّى الإنسانَ، الجسمَ، المُشارَ إليه، ذا الصفات: واحداً..

٢ ـ قوله ﷺ: «**لا تمشِ في نعلٍ واحد. ولا تحتبِ في إزارٍ واحد. ولا تأكلْ بشمالك. ولا تشتملِ الصَّمَّاءَ**[١]. **ولا تضعْ إحدى رِجليكَ على الأخرى إذا استلقيت**»[٢].

فأطلق على النعل، والإزار، والرِّجْل، وكلّها أجسام ذات صفات: اسم الواحد.

٣ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يُصلِّي أحدُكم في الثوب الواحد، ليس على عاتقيه شيءٌ**»[٣].

٤ ـ قوله ﷺ: «**من صلَّى في ثوبٍ واحدٍ فليُخالف بين طرفيه**»[٤].

٥ ـ قوله ﷺ: «**إذا انقطع شِسْعُ**[٥] **أحدكم، فلا يمشِ في نعلٍ واحدة، حتّى يُصلح شِسعه. ولا يمشِ في خُفٍّ واحد. ولا يأكل بشماله. ولا يحتبي بالثوب الواحد، ولا يلتحف الصَّمَّاء**»[٦].

٦ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع**

---

(١) قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم ٣/ ١٦٦١: «الفقهاء يقولون في معنى الصمّاء: أن يشتمل بثوبٍ ليس عليه غيره، ثمّ يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على أحد منكبيه».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٦٢، ك اللباس والزينة، باب النهي عن اشتمال الصَّمَّاء والاحتباء في ثوب واحد.

(٣، ٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٣٦، ك الصلاة، باب إذا صلّى في الثوب الواحد، فليجعل على عاتقيه.

(٥) الشِّسْع: سَيْر يُمسك النعل بأصابع القدم. (المعجم الوسيط ص ٤٨١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٦١، ك اللباس والزينة، باب النهي عن اشتمال الصَّمَّاء والاحتباء في ثوب واحد.

أحدكم نومه وطعامه وشرابه. فإذا قضى أحدُكم نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إلى أهله»[1].

٧ ـ قوله ﷺ: **«لا يَجْلِدْ أحدُكم امرأتَه جَلْدَ العبد، ثمّ يُجامعها في آخر اليوم»**[2].

٨ ـ قوله ﷺ: **«إذا استأذَنَتِ المرأةُ أحدَكم إلى المسجد، فلا يَمْنَعْهَا»**[3].

٩ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: **«يأتي الشيطانُ أحدَكم، فيقول: مَنْ خلق كذا؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدَكم ذلك، فَلْيَسْتَعِذْ بالله، ولْيَنْتَهِ»**[4].

وأقواله عليه الصلاة والسلام في ذلك كثيرة، لا يتسع هذا المقام لذكرها[5].

وهذه الأحاديث النبويّة الكثيرة التي جاء فيها إطلاق لفظ «واحد»، و«أحد» على ذي الصفات، وعلى الأجسام ترشد إلى بُطلان مزاعم المبتدعة أنّ الواحد والأحد لا يكون جسماً، ولا تكون له صفة..

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٤٥، ك العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، و٢/ ٣٥٨، ك الجهاد، باب السرعة في السير، و٣/ ٤٤١، ك الأطعمة، باب ذكر الطعام. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٦، ك الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٩٠، ك النكاح، باب ما يُكره من ضرب النساء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٩٦، ك النكاح، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره، و١/ ٢٧٨، ك الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد.

(٤) تقدم تخريجه٢/ ٣٢٨.

(٥) راجع نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٩ ـ ٤٩٢؛ فقد ذكر طائفة كثيرة من الأحاديث في ذلك.

وصفات الله تعالى الكثيرة التي وردت في الأحاديث النبويّة، لم يتنازع اثنان من العقلاء في أنّها نصّ في إثبات الصفات، وردّ على ما افتراه المعطّلون من نفيها[1].

وهي تُرشد إلى بُطلان مزاعم المبتدعة في تعطيل الصفات، وتسمية ذلك توحيداً.

***** سلف الأمّة وحّدوا الله تعالى، ووصفوه بصفات الكمال:**

لا يُوجد لفظ «التوحيد» بمعنى نفي شيء من الصفات في كلام أحدٍ من السلف رحمهم الله[2].

وذلك أنّ السلف رحمهم الله تعالى قالوا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[3]؛ فوحّدوا ربّهم، ووصفوا مولاهم بصفات الكمال، ونعتوه بنعوت الجلال، ووافقوا صحيح المنقول عن الأنبياء والمرسلين، وما فطر الله عليه عباده أجمعين، وما دلّت عليه صرائح عقول الآدميّين، من صفته جلّ وعلا التي وصف بها نفسه، ووصفته بها رسله؛ كسماعه لكلام عباده، ورؤيته لأعيانهم، وعلمه بسرّهم ونجواهم، . . . إلى آخر ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال. .

فليس معنى التوحيد عندهم ما يُريده المبتدعة؛ من نفي صفات الله وتعطيله عنها. .

وسلف الأمّة رحمهم الله لمّا أدخل المبتدعة نفي الصفات في مسمّى

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٥٠ ـ ٥١.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

التوحيد، أظهروا خلافهم، وردّوا عليهم..

فحين دخل أحد المبتدعة على الإمام مالك بن أنس؛ إمام دار الهجرة رضي الله عنه، وأخذ يسأله عن القرآن الكريم، قال له الإمام مالك: لعلّك من أصحاب عمرو بن عُبيد[1]؟ لعن الله عَمْراً؛ فإنّه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلّم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلّموا في الأحكام والشرائع. ولكنّه باطلٌ يدلّ على باطل»[2].

وقصد الإمام مالك رحمه الله من مقولته هذه: الإنكار على المعتزلة نفاة الصفات، الذين يُسمّون تعطيلهم توحيداً..

وهذا القصد وضّحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله المتقدّم[3]: «وهذا صريحٌ في ردّ الكلام والتوحيد الذي كانت تقوله المعتزلة والجهميّة، وليس له أصلٌ عن الصحابة والتابعين، بخلاف ما رُوي من الآثار الصحيحة في الصفات والتوحيد عن الصحابة والتابعين؛ فإنّ ذلك لم يُنكروه. إنّما أنكروا الكلام والتوحيد المبتدَع في أسماء الله وصفاته وكلامه»[4].

فعُلِم ممّا تقدّم أنّ الأدلة النقليّة الصحيحة؛ من كتاب، وسنّة، وإجماع سلف الأمّة، إنّما تدلّ على إثبات الصفات لله جلّ وعلا، لا يدلّ شيء منها على نقيض ذلك.

---

(١) تقدمت ترجمته ١/١٤٨.

(٢) تقدّم تخريج هذا الأثر عن الإمام مالك رحمه الله ٢/٢٢٨.

(٣) تقدّم قوله ٢/٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) الفتاوى المصرية لابن تيمية ٦/ ٥٦٠. وانظر نقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/٤٦٧.

**** ثالثاً: مخالفةُ مَنْ زَعَمَ أنّ التوحيدَ نفيُ الصفاتِ للعقل:**

وجود ذات ليس لها صفات ممتنعٌ في العقل..

فالذات التي لا صفة لها، لا وجود لها إلا في الذهن[1].

والواحد المجرّد عن جميع الصفات ممتنع الوجود[2].

فحيث قيل لفظ «الذات»، كان مستلزماً للصفات. «ويستحيل وجود ذاتٍ منفكّةٍ عن الصفات في الخارج، وفي العقل، وفي اللغة»[3].

والأدلّة العقليّة الصريحة إنّما تدلّ على إثبات الصفات لله ربّ العالمين، لا يدلّ شيء منها على نقيض ذلك[4].

أمّا الواحد الذي افترضه المبتدعة معطّلاً عن الصفات، وزعموا أنّه لا يُشار له، وليس له صفة، فهذا «يقول لهم فيه أكثر العقلاء، وأهل الفطر السليمة: إنّه أمرٌ لا يُعقل، ولا وجود له في الخارج، وإنّما هو أمرٌ مقدَّرٌ في الذهن. ليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات، ولا قَدْر، ولا يتميّز منه شيء عن شيء»[5].

فهذا النفي الذي ذكره النفاة، وسمّوه توحيداً، وفسّروا به اسم الله: «الواحد»، و«الأحد»: هو «عند أهل السنة والجماعة مستلزمٌ للعدم، مناف لما وصف به نفسه في كتابه؛ من أنّه «الأحد»، «الصمد»، وأنّه

---

(١) انظر: نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مخطوط ـ ٣٧٧/أ. ودرء تعارض العقل والنقل له ٥/ ٥٤. وكتاب الصفدية له ١/ ٢٢٩.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) كتاب الصفدية ١/ ١٠٩.

(٤) تقدّم ذلك مفصّلاً في الباب الأول؛ تقديم العقل على النقل أصل أصول المبتدعة في الصفات، في الجزء الأول ص١٩٣، ١٩٤.

(٥) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٣.

«العليّ»، «العظيم»، وأنّه «الكبير المتعال»، وأنّه «استوى على العرش»، وأنّه يُصعَد إليه، ويُوقَف عليه، وأنّه يُرى في الآخرة كما تُرى الشمس والقمر، وأنّه يُكلِّم عبادَه، وأنّه «السميع البصير»[1]، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العُلا..

لا يُقال إنّه تعالى مستغنٍ عن هذه الصفات؛ لأنّ هذه الصفات واجبة لذاته، والإله المعبود هو المستحقّ لجميع الصفات[2].

وبهذا يتبيَّن فساد ما عليه المبتدعة؛ من المتفلسفة والمعتزلة وأشباههم في تفسير التوحيد بنفي الصفات، وتتّضح مخالفتهم للمنقول والمعقول، وكلام العرب، بل وعامّة أهل اللغات..

وهذا يُرشد إلى أنّهم: ﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

(١) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٨٧.

(٢) انظر الرسالة المدنية لابن تيمية ص ٣٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٧.

المطلب الثاني

نقض استدلال أصحاب دليل التركيب

بما في القرآن؛ من تسمية الله نفسه: «أحداً»، و«صمداً»

على نفي صفات الله

*** سورة الإخلاص تضمّنت تسمية الله تعالى نفسه بـ«الأحد»، و«الصمد»..**

يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ. وَلَمْ يُوْلَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[1].

فهذه السورة فيها الاسمان: الأحد، والصمد.

«وكلّ منهما يدلّ على الكمال؛ فقوله: «أحد»: يدلّ على نفي النظير. وقوله: «الصمد» بالتعريف: يدلّ على اختصاصه بالصمديّة»[2].

وأسماء الله تعالى تدلّ على صفاته؛ فكلّ اسم من أسمائه سبحانه يدلّ على ذات الله، وعلى الصفة المختصة به..

وكلّ اسم يدلّ على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر؛ فالذات واحدة متعدّدة الصفات..

فعُلِم بذلك أنّ أسماء الله تعالى تدلّ على إثبات الصفات لله تعالى..

---

(١) سورة الإخلاص بأكملها.

(٢) جواب أهل العلم والإيمان، أنّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ـ ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ١٤٢ ـ وانظر منهاج السنة النبوية له ٢/ ٥٣٠.

* لكنّ المبتدعة أصحاب دليل التركيب بدلاً من أن يستدلوا بأسماء الله على إثبات صفات الله، استدلوا بها على تعطيل الله عن صفاته العُلا..

فقد استدلوا باسمه: «الأحد»، واسمه «الصمد» على نفي الصفات عنه جلّ وعلا..

واستدلالهم هذا باطل، وهو يدلّ على نقيض قولهم..

ونقض هذا الاستدلال يكون بطريقين؛ طريق عامّ، وآخر خاصّ..

**** أمّا الطريق العامّ:**

فإنّ اسم «الأحد»، واسم «الصمد» يدلاّن على نقيض مذهب المبتدعة..

فالصمد: يدلّ على استحقاق الله تعالى لجميع صفات الكمال.

والأحد: يدلّ على نفي المشاركة والمماثلة.

فالأول يدلّ على الإثبات، والثاني يدلّ على التنزيه..

بل إنّ صفات الإثبات كلّها، وصفات التنزيه كلها يجمعها هذان المعنيان[1].

فهذان المعنيان اللذان ذُكرا في سورة الإخلاص إذاً يجمعان صفات الإثبات كلّها، وصفات التنزيه كلها..

---

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، أنّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ـ ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ١٠٧ ـ وانظر أيضاً: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٥٤، ١٦/ ٩٨ ـ ٩٩، ١٢٥ ـ ١٢٦. وشرح حديث النزول له ص ٧٤. ومنهاج السنة النبوية له ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧، ٥٢٩ ـ ٥٣٠. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ٢/ ٥٨.

وهذان المعنيان من قواعد السلف رحمهم الله في إثبات الصفات؛ إذ الكلام في الصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات[1].

فكما أنّه لا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، كذلك لا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين[2].

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3].

فليس كمثله شيء: رد على أهل التشبيه والتمثيل.

وهو السميع البصير: رد على أهل النفي والتعطيل[4]..

فالله سبحانه وتعالى «موصوفٌ بصفات الكمال، منزّه عن كلّ نقص وعيب. موصوفٌ بالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام. منزهٌ عن الموت، والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، والبكم.

وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات الكمال؛ فهو منزّه عن كلّ نقص وعيب، قُدّوسٌ سلام، تمتنع عليه النقائص والعيوب بوجهٍ من الوجوه.

وهو سبحانه لا مِثل له في شيء من صفات كماله.

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية ص٣. ومجموع الفتاوى له ٣/ ٢. ودرء تعارض العقل والنقل له ١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

(٢) انظر: الرسالة المدنية لابن تيمية ص ٣١. ومنهاج السنة النبوية له ٢/ ١١٠. ومجموع الفتاوى له ٤/ ١٨٥، ٥/ ١٩٥، ١٩٦، ٢٦٣، ١٦/ ٩٩، ٣٦٣.

(٣) سورة الشورى، جزء من الآية ١١.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ١٢٦، ٥/ ١٩٦. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/ ١٧.

بل هو الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفُواً أحد»[1].

فالله تعالى منزّه عن كلّ نقص، ومستحق لغاية الكمال..

* **وتنزيهه جلّ وعلا يكون عن أمرين:**

أحدهما: تنزيهه عن النقص المُناقض لكماله.

والثاني: تنزيهه في كماله عن أن يكون له مِثل[2].

* والمقصود هنا أنّ إثبات الصفات لله تعالى مع التنزيه يجمعها المعنيان المذكوران في سورة الإخلاص؛ معنى الأحد، ومعنى الصمد..

فالمعنى **الأول**: «نفي النقائص عنه ـ تعالى ـ وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال.

فمن ثبت له الكمال التامّ انتفى النقصان المضادّ له.

والكمال من مدلول اسمه الصمد.

والثاني: أنّه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة.

وهذا مدلول اسمه الأحد.

فهذان الاسمان العظيمان ـ الأحد الصمد ـ يتضمنان تنزيهه عن كلّ نقصٍ وعيب، وتنزيهه في صفات الكمال أن لا يكون له مماثل في شيء منها.

---

(١) الجواب الفاصل لابن تيمية ـ ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٩، ص ٣١١ ـ ٣١٢ ـ وانظر منهاج السنة النبوية له ٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٢٤. ومجموع الفتاوى له ٦/ ٥٣٨، ١٦/ ١٢٣، ١٢٦، ٣٦٣. ومنهاج السنة النبوية له ٢/ ١٨٢، ٥٢٣، ٥٢٩ ـ ٥٣٠. وكتاب الصفدية له ١/ ١٠٢.

واسمه الصمد يتضمّن إثبات جميع صفات الكمال.

فتضمّن ذلك إثبات جميع صفات الكمال، ونفي جميع صفات النقص.

فالسورة تضمّنت كلّ ما يجب نفيه عن الله.

وتضمّنت أيضاً كلّ ما يجب إثباته، من وجهين:

من اسمه الصمد.

ومن جهة أنّ ما نُفي عنه من الأصول[1]، والفروع[2]، والنظراء[3]: مستلزم ثبوت صفات الكمال أيضاً.

فإنّ كل ما يُمدح به الربّ من النفي، فلابُدّ أن يتضمّن ثبوتاً..»[4].

فتبيَّن بذلك أنّ سورة الإخلاص دلّت على إثبات صفات الكمال لله تعالى..

وهذا نقيض زعم المبتدعة أصحاب دليل التركيب، من أنّها نصّ في نفي الصفات عن الله تعالى.

**** وأمّا الطريق الخاصّ:**

فيستلزم التفصيل في معنى كلّ اسمٍ من هذين الاسمين؛ الأحد، والصمد..

---

(١) لم يُولد.

(٢) لم يَلِد.

(٣) لم يكن له كُفُواً أحد.

(٤) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، أنّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ـ ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/١٠٨ ـ ١٠٩.

** **فاسم «الأحد»**: قد تقدّم القول في أنّه يدلّ على نقيض قول المبتدعة أصحاب دليل التركيب..

وأنّ اسم «أحد» في اصطلاح أهل اللغة يُطلق على ذي الصفات الذي يُشار إليه، ويتميّز بعضه عن بعض..

وقد أطلق هذا الاسم في الكتاب والسنّة على الجسم المُشار إليه، ذي الصفات، كما تقدّم بيان ذلك[1]..

ـ ومزاعم المبتدعة في كون هذا الاسم يدلّ على نفي الصفات، قد أجمل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الردّ عليها في النقاط التالية[2]:

١ ـ لفظ «أحد» لم يُستعمل إلا فيما نفاه المبتدعة دون ما أثبتوه..

وقد تقدّم في المطلب السابق أنّ هذا اللفظ لم يُطلق إلا على ذي الصفات المُشار إليه..

٢ ـ هذا الذي زعموا أنّه معنى لاسم «الأحد»: لا وجود له في الخارج.

فالأحد المُجرّد عن جميع الصفات ممتنع الوجود..

«وحينئذٍ فلا يكون كلام الله دالاً على وجود ما ليس بموجود»[3].

٣ ـ هذا المعنى الذي ذكره المبتدعة لاسم «أحد»: لا يمكن لأحد أن يتصوّره أو يفهمه. بل إنّ أهل اللغة، وأصحاب اللغات الأخرى، وعامّة النّاس لا يفهمون من اسم «أحد» ذاتاً مجرّدة عن الصفات..

---

(١) تقدّم بيان ذلك ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٦.

(٢) انظرها في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١٢٠.

ولمّا كان اسم «أحد» من الألفاظ المتداولة المشهورة بين النّاس عامّتهم وخاصتّهم، وجب أن يكون المدلول الذي دلّ عليه هذا اللفظ واضحاً مفهوماً، يمكن تصوّره من كلّ النّاس..

٤ ـ لو فُرِض على سبيل الجدل أنّ المعنى الذي وضعه المبتدعة لهذا اللفظ يمكن تصوّر وجوده في الخارج ـ مع امتناع ذلك في الحقيقة ـ، فإنّ المعنى الذي نَفاه المبتدعة أشمل، ووجوده أظهر.

٥ ـ لو قُدِّر على سبيل الجدل عموم هذا المعنى الذي وضعه المبتدعة للفظ «أحد»، فإنّه يدلّ على الاشتراك اللفظي، ولا يدلّ على خصوص ما أثبته المبتدعة.

٦ ـ لو قدَّرنا كون أحد المعنيين مجازاً ـ المعنى الذي تعارف عليه أهل اللغة، وجاء به الكتاب والسنة، والمعنى الذي زعمه المبتدعة ـ، فالحقيقة هي في المعنى الذي جاء به الكتاب والسنة، وتعارف عليه أهل اللغة، وليس المعنى الذي وضعه المبتدعة؛ لأنّ الأول يسبق إلى أفهام المُخاطبين.

٧ ـ لو قدَّرنا الاشتراك اللفظي، وفُرِض جدلاً أنّ المعنى الذي زعمه المبتدعة من المعاني المرجوحة ـ وهذا مُحال ـ، فلا يجوز التحوّل عن المعنى الحقيقي إلى معنى المبتدعة إلا بقرينة.

٨ ـ القرائن اللفظيّة المذكورة في القرآن تدلّ على أنّ لفظ «أحد» يكون ذا صفات وأفعال، ويُشار إليه، ويتميّز بعضه عن بعض؛ فيكون له قَدْر، وحدّ، وجوانب، ونهاية، ويكون قائماً بنفسه..

وهذه القرائن تستلزم الصيرورة إلى خلاف ما زعمه المبتدعة من معنى.

٩ ـ «اسم «الأحد» لا يُستعمل في حقّ غير الله إلا مع الإضافة، أو

في غير الموجب؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيٓ أَرَانِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[2]، وقال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾[3]؛ فهو أبلغ في إثبات الوحدانيّة من اسم الواحد. ومع هذا فلم يُستعمل إلا فيما نَفَوْه في مثل قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[4]، وأمثاله. لا يُعرف استعمال «الأحد» فيما ادّعَوْه، لا في النفي والإثبات»[5].

وأهل اللغة قالوا: اسم «الأحد» لم يجيء اسماً في الإثبات إلا لله تعالى، لكنّه مستعملٌ في النفي والشرط والاستفهام[6].

فيُقال: لا يوجد أحدٌ ـ في النفي ـ.

إذا جاء أحدٌ ـ في الشرط ـ.

هل في الدار من أحدٍ؟ ـ في الاستفهام ـ.

أمّا ما عدا ذلك من الاستعمالات؛ فإنّه يكون مضافاً: أحدكم، أحدنا، إحدى رجليه، أحد العاملين، . . . إلخ.

** وبهذه الردود البيّنة، والحجج الدامغة من شيخ الإسلام رحمه الله، يتبيَّن كذب ما ادّعاه المبتدعة أصحاب دليل التركيب في اسم الله تعالى: «الأحد». .

---

(١) سورة يوسف، جزء من الآية ٣٦.

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية ٤٩.

(٣) سورة التوبة، جزء من الآية ٦.

(٤) سورة الإخلاص، الآية ٤.

(٥) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ١٢١.

(٦) انظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ١/ ٤٩٣.

ويتّضح أنّ ما يُثبتونه ليس له حقيقة في الخارج..

وحيث قيل لفظ الذات: كان مستلزماً للصفات، ويستحيل شرعاً، وعقلاً، ولغةً وجود ذات منفكّة عن الصفات..

هذا بالنسبة لاسم «الأحد»..

** **أمّا اسم «الصمد»**: فإنّه على إثبات الصفات أدلّ منه على نفيها..

* فللسلف رحمهم الله في معنى اسم «الصمد»، «أقوال متعدّدة، قد يُظنّ أنّها مختلفة، وليست كذلك، بل كُلُّها صوابٌ»[1]..

والمشهور من هذه الأقوال، قولان:

١ ـ **أحدهما**: أنّ الصمد: هو الذي لا جوف له..

وهذا قول أكثر السلف؛ من الصحابة والتابعين، وطائفة من أهل اللغة[2].

٢ ـ **الثاني**: أنّ الصمد: هو السيّد الذي يُصمد إليه في الحوائج.

---

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص٣٤. وانظر نقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/٥١١.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري ٣٠/٣٤٥. والصحاح للجوهري ٢/٤٩٩. والأسماء والصفات للبيهقي ص ٧٩. وزاد المسير لابن الجوزي ٩/٢٦٨. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٧٠. وانظر من كتب ابن تيمية: تفسير سورة الإخلاص ص ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧ ـ ٦٠، ٧٠. ومجموع الفتاوى ١١/٢٥١، ١٧/١٤٢ ـ ١٤٣. وشرح حديث النزول ص٢٥. ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/٤٨ ـ ٤٩، ٥١١، ٢/٥٨ ـ ٥٩، ٢٤٨.

وهذا قول طائفة من السلف والخلف، وجمهور اللغويّين[1].

وهناك أقوال أخرى في معنى الصمد..

بَيْدَ أنّها عند التأمّل لا تُخالف القولين السابقين، ولا تخرج عنهما..

**** فقد فُسِّر «الصمد» في هذه الأقوال بـ[2]:**

* السيِّد الذي انتهى سؤدده؛ أي بلغ الغاية في السؤدد.

* الباقي بعد فناء خلقه.

* والدائم.

* والحيّ القيوم الذي لا زوال له.

* والأزليّ بلا ابتداء.

* والذي لا يبلى ولا يفنى.

* والذي يحكم ما يُريد ويفعل ما يشاء؛ فلا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

* والأول بلا عدد، والباقي بلا أمد، والقائم بلا عمد.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري ٢/٤٩٩. ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣١٦. والمفردات للراغب الأصبهاني ص ٢٩٤. والأسماء والصفات للبيهقي ص ٨٠. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٤٥. وزاد المسير لابن الجوزي ٩/٢٦٨. وانظر من كتب ابن تيمية: تفسير سورة الإخلاص ص ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦١. ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٥٠، ١٧/١٤٢ ـ ١٤٣. وشرح حديث النزول ص ٢٥. ونقض أساس التقديس ـ مطبوع ـ ١/٤٨ ـ ٤٩، ٥١١، ٢/٥٨ ـ ٥٩، ٢٤٨.

(٢) انظر هذه التفاسير في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٤٥. وزاد المسير لابن الجوزي ٩/٢٦٨. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٧٠. وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٣٤ ـ ٥٤. ونقض أساس التقديس له ـ مطبوع ـ ١/٤٨ ـ ٤٩.

* الذي لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأفكار، ولا تبلغه الأقطار، وكلّ شيء عنده بمقدار.

* الذي لم يخرج منه شيء، ولم يخرج من شيء؛ أي: الذي لم يلد، ولو يُولد.

* الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.

* الذي ليس له أمعاء.

* ومثله: الذي ليس له أحشاء.

* وثمّة أقوال أخرى كثيرة في معنى الصمد؛ كلها تدور في فلك هذه الأقوال.

- ومن أجمع الأقوال التي وقفت عليها في معنى الصمد: قول الصحابي الجليل عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: «السيِّد الذي قد كمُل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، والقدير الذي قد كمل في قدرته. وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد. هو الله سبحانه وتعالى. هذه صفته، لا تنبغي لأحدٍ إلا له، ليس له كُفُؤ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهّار»[1].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٠/٣٤٦. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٧٨. وانظر من كتب ابن تيمية: تفسير سورة الإخلاص ص ٥١. ومنهاج السنة النبوية ٢/١٨٦. وجواب أهل العلم والإيمان، أنّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ـ ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/١٤٣ ـ. وفي شرح حديث النزول ص ٢٥ ذكره ابن تيمية مختصراً.

** ولا مانع هاهنا من الوقوف قليلاً مع المعنيَيْن اللذين اشتهرا عن السلف رحمهم الله، وهما: الذي لا جوف له. والسيِّد الذي يُصمد إليه في الحوائج..

والغرض من هذا الوقوف نقض زعم المبتدعة أنّ هذا الاسم نصّ في نفي الصفات.

١ ـ **فالمعنى الأول**: الذي لا جوف له: قد نُقل عن أكثر السلف من الصحابة والتابعين..

ولكن ليس في قولهم: إنّه الذي لا جوف له: ما يدلّ على أنّه ليس موصوفاً بالصفات.. بل قولُ مَنْ فسّره بأنّه الذي لا جوف له على إثبات الصفات أدلّ منه على نفيها[1].

إلا أنّ ما له من صفات ليست مثل ما للمخلوق؛ فالله تعالى ليس كمثله شيء.

ومن ثَمَّ كان وصفه بالصمد ـ الذي لا جوف له، أو الذي لا أحشاء له، أو الذي لا أمعاء له، أو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ـ دليلاً على أنّه جلّ وعلا ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله[2].

فكلّها صفات ربّنا التي ليست كصفات المخلوقين..

٢ ـ **أمّا المعنى الثاني**: وهو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج..

وهذا المعنى يستلزم كمال صفاته جلّ وعلا؛ من غناه، وعزّته، وعظمته، وشرفه، وقدرته، وعلمه، وحلمه، وحكمته... إلخ.

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١١٥.

(٢) انظر نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ٢/ ٥٩.

ولفهم هذا ننظر إلى حال المخلوق ـ ولله المثل الأعلى؛ فإنّ الإنسان له في سؤدده وعزته حالان:

أحدهما: «أن يستغني بنفسه عن غيره، ويعزّ بنفسه عن غيره؛ فلا يحتاج إلى الغير الذي يحتاج إليه غيره؛ لغناه. ولا يخاف منه؛ لعزّته»[1].

والثاني: «أن يكون هو قد احتاج إليه غيره، ويكون قد أعزّ غيره فغلّبه، وأعزّه فمنعه. فيكون النّاس قد صمدوا له؛ أي قصدوه وأجمعوا له. وهذا هو الصمد السيّد»[2].

وهذا الوصف من كمال المخلوق..

ومن مذهب السلف رحمهم الله في إثبات الصفات: أنّ كلّ كمال ثبت للمخلوق، فإنّما استفاده من خالقه وربّه ومدبّره، فهو أولى به[3].

وإثبات هذه الصفات لله تعالى بكمالها، مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين، ممّا لا ينتطح فيه عنزان؛ فالله تعالى «هو السيّد المقصود الذي يصمد إليه النّاس في حوائجهم، المستغني عمّا سواه، وكلّ ما سواه مفتقرون إليه، لا غنى بهم عنه»[4].

---

(١) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ٢/ ٥٩.

(٢) نقض أساس التقديس لابن تيمية ـ مطبوع ـ ٢/ ٥٩.

(٣) انظر من كتب ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٦/ ٥٣٧، ١٢/ ٥٣٩. والفتاوى المصرية ١/ ١٣٠. ودرء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩. وكتاب الصفدية ١/ ٩٠، ٩١، ٩٤، ١٠٢ ـ ١٠٤. وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص ١٤٠. والرسالة التدمرية ص ١٤٢ ـ ١٤٣. والردّ على الأخنائي ٣٤٦. وشرح حديث النزول ص ٢٢. والرسالة الأكملية ص ٧ ـ ٩. والجواب الفاصل ـ ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٩، ص ٣١١ ـ ٣١٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٢/ ٧٨٧.

و«المخلوقات مفتقرة إلى الخالق؛ فالفقر وصف لازم لها، دائماً لا تزال مفتقرة إليه»[1].

«وهذا من معاني الصمد؛ وهو الذي يفتقر إليه كلّ شيء، ويستغني عن كلّ شيء. بل الأشياء مفتقرة من جهة ربوبيّته، ومن جهة إلاهيّته. فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع ولا يدوم»[2].

فمن مستلزمات الصمديّة: الغنى عن الغير..

والغنى عن الغير مستلزم لسائر صفات الكمال[3].

والربّ تعالى يلازمه الغنى والعزّة؛ فهو سبحانه غنيّ، عزيزٌ بنفسه، يستحيل عليه نقيض ذلك[4].

وهو مستحقّ لغاية الكمال، واسمه الصمد يتضمّن جميع صفات الكمال[5].

ومن ذلك يُعلم أنّ من ادّعى أنّ اسم الله تعالى «الصمد» يدلّ على نفي الصفات، فقد ألحد في أسماء الله وآياته، وافترى على اللغة..

بل اسم الله «الصمد» يتضمّن إثبات جميع صفات الكمال لله تعالى، ويُنافي كلّ نقصٍ وعيب..

** وبانتهاء هذه الردود، ينتهي نقض دليل التركيب، ويتّضح بطلان ما هم عليه أصحابه من تعطيل للباري جلّ وعلا عن الصفات العُلا..

(١) شرح حديث النزول لابن تيمية ص١٤١.

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٤١.

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ٨٧.

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٣٩.

(٥) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠.